

## المسالك التجارية بين حاضرة وارجلان وبلاد السودان خلال الفترة (3-9هـ/9-15م)

Trade routes between Warghlan and Bilad Sudan  
During the period (3-9 H/9-15 A.D)



د. محمد العيد تيته \*

جامعة الوادي

tita-mohammedlaid@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/31 تاريخ القبول 2022/09/25 تاريخ النشر 2022/10/13



### ملخص:

تتحرى هذه المقالة إمادة اللثام عن الدور الذي أدته حاضرة وارجلان في التجارة القوافلية العابرة للصحراء خلال القرون الثالث والتاسع الهجري/التاسع والخامس عشر الميلادي. ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي امتازت به هذه الحاضرة وللمرافق التي توفرها للتجار الوافدين إليها، أهلها بأن تكون ميناء صحراوي مغربي بامتياز، حيث أبانت المصادر على ما يقرب عشرون مسلكا تجاريا، منها عشرة كاملة نحو بلاد السودان. **الكلمات المفتاحية:** وارجلان؛ بلاد السودان؛ المسلك؛ المحطة؛ القافلة التجارية.

### **Abstract:**

This article explores the role played by Warghlan in the trans-Saharan caravan trade during the 3rd, 9th/9th and 15th centuries. Owing to the strategic location of this presence and the facilities it provides to the merchants arriving at it, it has been qualified to be a privileged Moroccan

\* المؤلف المراسل

Saharan port, where sources have shown nearly 20 commercial routes, 10 of them entirely towards Bilad Sudan's.

**key words:** Warghlan; Bilad Sudan; Line; Station; Commercial caravan

مقدّمة:

عرفت الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط نشأة العديد من الحواضر التي ساهمت في التجارة القوافلية العابرة للصحراء. ولموقعها الاستراتيجي انخرطت حاضرة وارجلان كغيرها من الحواضر في التجارة القوافلية بارتباطها بشبكة طرق ومسالك. ويبدو أن نشاط تجار هذه الحاضرة والمرافق التي توفرها للتجار الوافدين إليها، عزز من دورها التجاري لتصبح باب الولوج إلى بلاد السودان بشهادة المصادر التي أقرت ذلك. والتساؤل المطروح هو: ما هي المسالك التي ارتبطت بها حاضرة وارجلان مع بلاد السودان خلال القرون الثالث والتاسع الهجري / التاسع والخامس عشر الميلادي؟ مسارها وأهم محطاتها التي سلكها القوافل التجارية نحو بلاد السودان؟

إن الهدف من هذه الدراسة هو إمطة اللثام عن إحدى الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط وارجلان وعلاقتها التجارية من خلال شبكة مسالك وطرق تربطها ببلاد السودان مدة سبعة قرون كاملة.

## 1- وارجلان - تادمكة- كوكو:

يعتبر مسلك وارجلان-تادمكة-كوكو باب الولوج إلى بلاد السودان لمدن المغرب الأوسط وإفريقية، وهو من أقدم الطرق التجارية التي كانت تربط عاصمة الرستميين تاهرت بمملكة كوكو مروراً بوارجلان.

أشار اليعقوبي بأن كوكو "أعظم ممالك السودان، وأجلّها قدرًا، وأعظمها أمرًا، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة"<sup>(1)</sup>، ومن الممالك التي تنسب إلى مملكة كوكو يضيف

اليقوي: "فمنهم مملكة المرو،...، ومملكة مردية، ومملكة الحرير، ومملكة صنهاجة، ومملكة تذكرير، ومملكة الزيانير، ومملكة أرو، ومملكة بقاروت"<sup>(2)</sup>.

أول من وصف هذا الطريق البكري في مسالكة حيث أباَن عن الجزء الشمالي منه بقوله: "ومن أراد الطريق من تادمكة إلى القيروان فإنه يسير في الصحراء خمسين يوماً إلى مدينة وارجلان ومنها إلى القيروان سبعة أيام"<sup>(3)</sup>، ولكنه لم يُفصّل في المحطات التي تخطتها القوافل للوصول إلى مدينة تادمكة.

وقد اعتبر تاديوس ليفينسكي بأن هذا المسلك "الأكثر أقدمية والطريق المباشر الذي يربط وارجلان وبواسطتها كامل المغرب الأوسط ببلاد السودان"<sup>(4)</sup>، ورجّح بأن هذا المسلك كان يمر بمدينة "القلية" و"قلعة البكري" ثم يتجه إلى مدينة "عين صالح" ومنها إلى جبال "مويدر" أو أمدير في الهقار، ثم "أبلسة" وتين زاواتين وصولاً إلى تادمكة<sup>(5)</sup>، ثم تواصل القافلة بعد المكوث عدة أيام في تادمكة إلى كيدل ثم بورم، ومنها إلى كوكو<sup>(6)</sup>.

اعتقد تاديوس ليفينسكي بأن عين صالح هي "قلية ولان" التي أشار إليها ابن خلدون خلال القرن 8هـ/14م<sup>(7)</sup> والتي تسكنها قبائل مطغرة بقوله: "وفي جهة الشرق على هذه القصور(توات) وعلى خمس مراحل منها دامعة متوغلة في القفر تعرف بقلية(ولان). الآن يعتمرها رهط من مضغرة هؤلاء"<sup>(8)</sup>.

تعد "قلية ولان" محطة يتجمع بها التجار القادمون من وارجلان والتجار الآتون من حاضرة توات حيث تأخذ القوافل الطريق المار بعين زيز وتيميساو وبرج مختار ثم تساليت وصولاً إلى السوق(تادمكة). تنزل القوافل التجارية في مدينة تادمكة بعد خمسين يوماً موغلة في القفار والمفازات.

الموقع الجغرافي لتادمكة يوجد في الشمال الشرقي من كوكو، في الجهة الجبلية لأردار أفوغاس، في الموضع المسمى بخراب السوق<sup>(9)</sup>، قال عنها البكري بأنها: "أحسن بناء من

مدينة غانة ومدينة كوكو،... ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة<sup>(10)</sup>.

إنّ النص الذي أفادنا به البكري يوحي بأنّ السوق شهد رواجاً ونشاطاً تجارياً ملحوظاً، انعكس ذلك على البنية العمرانية للمدينة حيث أصبحت تنافس كل من غانة وكوكو، وبالتالي أصبحت تادمكة محطة ومركز تجاري رئيسي تنزل فيه القوافل التجارية، ومن كبريات مراكز تجارة الرقيق الأسود خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي<sup>(11)</sup>.

وقد صرح ابن سعيد المغربي بأن: "أهلها برابرة مسلمون يكثرون من التجارة والسفر إلى بلاد السودان"<sup>(12)</sup>، فيما لم يشر ابن خلدون إليها وذلك عند وصفه لبلاد السودان<sup>(13)</sup>، ربما لتقلص دورها التجاري بالمنطقة<sup>(14)</sup>.

تخبرنا كتب الطبقات الأباضية عن سفر التجار الأباضية من وارجلان إلى تادمكة، منهم الدرجيني الذي أفادنا بأن أبو صالح الياجراني، كانت له تجارة في تادمكة بقوله: "وذكر أنه جلب من إبله أبرة إلى وارجلان للبيع، فاشتري وارجلاني منها بعيراً، فلما أراد أن ينقده الثمن قال له: إن ثمن جملك في تادمكت، وكان له جمل أراد المسير عليه فقال له رجل من أهل وارجلان: أتحمّل لي على جملك هذا حمل متاع إلى تادمكت فتبيعه لي هناك"<sup>(15)</sup>.

أما الوسياني فقد أشار إلى تاجر إباضي آخر اسمه "تملي الوسياني"<sup>(16)</sup> من قسطنطينية كان له حضور دائم بتادمكة قصد التجارة، وهذا نصه: "فجعل يسافر إلى تادمكت فبلغ بها مالا كثيراً"<sup>(17)</sup>.

بالرجوع إلى مدينة كوكو، المهلبي في مصنفه صرّح بأن بها: "أسواق ومتاجر والسفر إليها من كل بلد متصل،... وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح"<sup>(18)</sup>، أما البكري فقد أشار إلى أن: "تجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم"<sup>(19)</sup>.

قراءة في كتاب الجغرافيا للزهري مفادها بأن مدينة كوكو "إليها تدخل القوافل من أرض مصر ومن وارقلان. ويدخل قليل من المغرب على مدينة سجلماسة"<sup>(20)</sup>، فيما أقرَّ الإدريسي بوجود أهل وارجلان بمدينة كوكو بقوله: "في أرض كوكو العود المسمى بعود الحية ومن خاصته أنه إذا وضع على جحر الحية خرجت إليه مسرعة ثم أن ماسك هذا العود يأخذ من الحيات ما شاء بيده من غير أن يدركه شيء من الجزع ويجد في السابق قوة عند أخذها والصحيح عند أهل المغرب الأقصى وأهل وارقلان أن ذلك العود إذا أمسكه ماسك بيده أو علقه في عنقه لم تقره حية البتة"<sup>(21)</sup>.

يظهر من خلال نص الإدريسي بأن أهل وارجلان وكذلك أهل المغرب الأقصى كان لهم حضور في مدينة كوكو وتجلي ذلك في الحادثة التي وقعت لهم بإمساكهم عود الحية أو تعليقه في عنق أحد منهم ولم تقره الحية بتاتا. وقد أشار تاديوس ليفينسكي: "بأن ابن البيطار عثر أيضا على نفس النبات ينمو بوفرة جنوب مدينة قسنطينة"<sup>(22)</sup>. ويبدو أن تجار وارجلان كانوا على اتصال بتجار قسنطينة نقلوه إلى المنطقة فأصبح عود الحية ينبت لديهم بوفرة.

يقدر البكري المسافة بين تادمكة وكوكو بتسع مراحل<sup>(23)</sup>. فيما أشار الزهري بأن هناك مسلك يربط بين كوكو بالبلدان الواقعة أعالي جنوب بلاد المغرب حيث تأتي القوافل من أجل تجارة العبيد ومسحوق الذهب<sup>(24)</sup>، منها سجلماسة، ومصر، وارجلان، وغانة، والتي قدر المسافة بينها وبين كوكو نحو ثلاثين مرحلة<sup>(25)</sup>. وصف ابن بطوطة خلال رحلته إلى بلاد السودان كوكو بأنها: "مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها"<sup>(26)</sup>.

حافظت كوكو على مكانتها خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي كأكبر مركز تجاري يأتيها التجار من كل حذب وصوب، حيث صور لنا الحسن الوزان المدينة بقوله: "كاغو مدينة عظيمة،... سكانها تجار أغنياء يتحولون دائما في المنطقة

بسلعهم. يأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشترتوا بها أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوربا، لكنهم لا يجدون أبدا ما يكفي منها لإنفاق ذهبهم،...، وهناك ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكورا وإناثا"<sup>(27)</sup>.

إن هذه الشهادة التي أدلى بها الحسن الوزان خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي تفيدنا بأن كوكو كانت خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي من المراكز التجارية الكبرى والمهمة يأتيها تجار وارجلان قصد صرف سلعهم في أسواقها مقابل الحصول على الرقيق ومسحوق الذهب.

## 2- وارجلان - سجلماسة- أودغست - غانة:

احتل هذا الطريق أهمية كبرى لدى تجار القوافل خلال العصر الوسيط باعتبار أن غانة كانت باب دخول التجار المغاربة إلى منطقة "ونقارة"<sup>(28)</sup> - التي تقع بالنيجر الأعلى ورافده المسمى باني، أو بالأحرى بالنيجر الأعلى إلى الشرق، ونهر فليمي إلى الغرب (بين شمال السنغال ونهر تينكيسو إلى الجنوب)<sup>(29)</sup> - الغنية بالذهب، وعاصمتها كومي صالح، التي تقع على الحدود الجنوبية الموريتانية<sup>(30)</sup>. إن مسار الرحلة يبتدئ من وارجلان ثم سجلماسة فأودغست. أشار تاديوس لفينسكي إلى أن القوافل تتجمع في القليعة<sup>(31)</sup>، ثم تواصل طريقها نحو واحات قرارة<sup>(32)</sup>، وبعد ذلك تقوم بالتفاته عبر العرق الكبير في الجنوب، ثم العودة إلى الشمال الغربي على طول وادي الساورة، لأجل الدخول إلى تافيلالت (سجلماسة)<sup>(33)</sup>.

ويعد أقدم طريق يربط بلاد المغرب بغانة كان ينطلق من مدينة "طَرْقَلَة" عاصمة السوس الأقصى وذلك قبل تأسيس سجلماسة سنة 140هـ/757م<sup>(34)</sup>، أين أصبحت هذه المدينة عاصمة اقتصادية بما تحمله الكلمة من معنى حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذي تغيرت بها أوضاعها وبالتالي زوالها.

لم تُثبِت المصادر وكتب الرحلة والجغرافيا التي بين أيدينا بأنّ هناك مسلك يربط بين وارجلان وسجلماسة، باستثناء المصادر الأباضية التي كشفت بأن أبي زكرياء يحي الوارجلاني أشار إلى أن: "عبيد الله خرج متوجها إلى سجلماسة فجاز بطريقه إلى وارجلان"<sup>(35)</sup>، فيما أشار البكري بأن: "مدينة تيزيل وهي أوّل الصحراء، ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى وارجلن وإلى القلعة"<sup>(36)</sup>، ولكنه لم يصرح فيما إن كان هناك طريق يربط سجلماسة بوارجلان.

أشار البكري إلى أن هناك مدينة تسمى القلعة تقع في صحراء المغرب الأوسط وصفها بقوله: "القلعة، وهي مدينة معمورة فيها آثار للأوّل وبها مسجد"<sup>(37)</sup>، لعلها القليعة التي رجّح تاديوس ليفينسكي بأن القوافل تمر بها، حيث أصبحت تمثل محطة مهمة في طريق التجارة الكبير بين وارجلان وسجلماسة<sup>(38)</sup>.

إن الطريق الذي يربط بين سجلماسة وأودغست غائبة، يعتبر من أهم المسالك التجارية التي كان لها دورا رياديا في تنشيط عجلة اقتصاد بلاد المغرب في العصر الوسيط، لذا نجد أغلب المصادر تطرقت إليه وبالتفصيل، فابن حوقل ذكر بأن المسافة من "سجلماسة إلى أودغست شهران،...، ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يوما"<sup>(39)</sup>، وذكر المحطات الرئيسية التي يجب على القافلة المرور بها وهي تامدلت، ولمطة المشهورة بمعدن الدرق، ثم أوليل صاحبة معدن الملح، ثم أودغست<sup>(40)</sup>.

صوّر المهلبي أودغست ما لاحظته على المدينة بقوله: "إن لأودغست أعمالا واسعة... ولها أسواق جلييلة والسفر متصل إليها من كل بلد، وأهلها مسلمون والمتوّلي عليها صنهاجة وشرقيها بلاد السودان وأما غربي بلادها فالبحر المحيط وجنوبيهم حدود السودان"<sup>(41)</sup>.

فيما وصفها البكري بأنها: "مدينة كبيرة أهلة... وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جلييلة، وسوقها عامرة الدهر كلّه، لا يسمع الرجل فيها كلام جلسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله.

وتبايعهم بالتبر وليس عندهم فضة...وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة...وسكانها أهل إفريقية وبرقحانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة، هؤلاء أكثرهم، وبها نبذ من سائر الأمصار"<sup>(42)</sup>. يبدو أن وضعية أودغست هذه كانت قبل حكم المرابطين لها، وسيطرة الجالية المغربية عليها.

لقد قدم البكري تقريرا مفصلا حول مسار الرحلة المتجهة من سجلماسة نحو أودغست، وأهم محطاتها الرئيسية والتي هي: تامدلت<sup>(43)</sup>، وأودغست، وأورد بأن هذا الطريق مليء بالآبار على مسافة يومين أو ثلاثة، نذكر منها بئر الجمالين، ماء يسمى تندفس<sup>(44)</sup>، ثم بئر كبيرة يقال لها وين هيلون، وتازقي،...، بئر واران<sup>(45)</sup>.

فيما قدر المسافة التي تفصل بينهما بإحدى وخمسين مرحلة، بقوله: "فأما الطريق من أودغست إلى بلد سجلماسة فمن أودغست إلى تامدلت على ما ذكرنا أيضا، وذلك أربعون مرحلة. ومن تامدلت إلى سجلماسة على ما ذكرنا قبل هذا إحدى عشرة مرحلة. فذلك إحدى وخمسون مرحلة"<sup>(46)</sup>. واكتفى بذكر المسافة التي تربط سجلماسة بغانة بقوله: "ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين"<sup>(47)</sup>.

أثبتت كتب السير والطبقات الأباضية عن وجود جالية إباضية أتت من بلاد الجريد ومن الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط ووارجلان على الخصوص إلى أودغست وغانة، حيث ذكر الشماخي أن أبا الحسن علي بن مجبر الوسياني(كان حيا في القرن الرابع الهجري)، أصله من قبيلة زناتة فرع بني وسين ينتمي إلى أسرة نشأت بوارجلان ببلدة تغيارت<sup>(48)</sup>، كانت له مظلمة من أحد إخوانه فسأل عنه فقيل: مات في الموضع الفلاني فترك ولد في أودغست فسار حتى بلغه<sup>(49)</sup>. فيما صرح الوسياني في سيره بأن: "الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران<sup>(50)</sup> مر على أبي صالح فطلب أهل وارجلان أن يقعدوا حلقة تلاميذ،... وهو يريد السفر إلى غانة...فتوجه إلى تلك البلاد حتى وصلها"<sup>(51)</sup>.



صرح الإدريسي في نزهته بأن وارجلان: "مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"<sup>(52)</sup>، إن صك العملة الذهبية يدل على أن وارجلان خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قد أصبحت تمثل المدينة الدولة. وقدر المسافة بين وارجلان وغانة بثلاثين مرحلة<sup>(53)</sup>.

أبو حامد الغرناطي في تحفته أقرَّ بصعوبة المسلك الذي يسلكه التجار بقوله: "يخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة، آخر بلاد المغرب الأعلى فيمشون في رمال كالبحار، يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار، ويحملون مع الزاد لسته شهور. فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب، وربما باعوه وزنا بوزنين، أو أكثر على قدر كثرة التجار وقتلهم"<sup>(54)</sup>. وقد أشار تاديوس ليفينسكي بأن مدينة غانة كانت تمثل مفترق مهم للطرق الصحراوية والسودانية<sup>(55)</sup>.

بحسب الإدريسي والزهري فإن أحد أهم هذه الطرق التي أشار إليها تاديوس ليفينسكي والمتجهة نحو الشمال تمر إلى سجلماسة ثم وارجلان<sup>(56)</sup>.

وقد لخص ياقوت في معجمه الدور الذي مثلته مدينة غانة كوسيط في تجارة القوافل بين بلاد السودان والقادمين إليها من بلاد المغرب هذا نصه: "غانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، يجتمع إليها التجار ومنها يدخل في المغازات إلى بلاد التبر، ولولاها لتعدَّ الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب، عند بلاد السودان فمنها يتزوَّدون إليها"<sup>(57)</sup>، وأضاف أيضا بقوله: "فينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصحبون الأدلاء ويستكثرون من حمل المياه يأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر"<sup>(58)</sup>.

وكان لسقوط غانة على يد ملك مالي ماندينكا سوندياتا كيتا حوالي عام 638هـ/1240م، إلى هجرة ساكنيها وانتشارهم في الصحراء، وما لبثوا أن استقروا

وكانوا طرفا في نشأة مدينة ولاتة والتي ستصبح فيما بعد مرحلة مهمة في الطريق الجديد، الذي يربط سجلماسة بالسودان الغربي<sup>(59)</sup> والذي يمر بمناجم الملح بتغازة التي سيطرت عليه مملكة مالي وعاصمتها نياني<sup>(60)</sup>.

قراءة في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني مفادها أن الفقيه أبو الربيع الملتاني وصف طريق غانة من سجلماسة<sup>(61)</sup>، فيما أشار أيضا أبو الفداء في تقويمه إلى طريق غانة سجلماسة نقلا عن ابن سعيد المغربي<sup>(62)</sup>.

### 3- وارجلان - غيارو (غيارة):

يقول ابن خلدون: "نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحا وأكفل بحوالة الأسواق لأنّ السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقلّ حاملوها ويعزّ وجودها وإذا قلت وعزّت غلت أثمانها. وأمّا إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالأمن فإنّه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش"<sup>(63)</sup>.

من خلال هذه المقولة تحدى التجار وفي مقدمتهم تجار وارجلان الصعاب والمشاق ووصلوا إلى أقصى مكان في بلاد السودان، فكان لهم حضور دائم في مدينة غيارو وذلك لغرض جلب الذهب ذو الجودة العالية، وقد أشار البكري إلى ذلك بقوله: "وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غيارو"<sup>(64)</sup>.

ومن التجار الذين وصلوا إلى مدينة غيارو الشيخ أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني الذي ذكرناه سابقا. ومدينة غيارو تدين لمملكة غانة حيث المسافة بينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متصلة<sup>(65)</sup>. وعن مسار الرحلة يقول البكري: "فأما الطريق من غانة إلى غيارو فيلّى مدينة سامقندى

أربعة أيام،...، ومنها إلى بلد يسمى طاقة يومان،...، ومنها إلى بلد يقال له غرتيل،...، ومن غرتيل إلى غيارو" (66).

قراءة في نزهة المشتاق للإدريسي تفيدنا بتفاصيل إضافية بخصوص مسار الرحلة التي أقرّها البكري في مسالكة ما نصه: "مدينة سمقندة هذه مدينة لطيفة على ضفة البحر الحلو ومنها إلى مدينة غربيل تسعة أيام... ومدينة غربيل هذه على ضفة البحر الحلو وهي مدينة لطيفة القدر،... وشرب أهلها من النيل ولباسهم الصوف وأكلهم الذرة والحوت وألبان الإبل وأهلها يتصرفون في تلك البلاد بضروب من التجارات التي تدور بين أيديهم ومن مدينة غربيل مع المغرب إلى مدينة غيارة إحدى عشرة مرحلة ومدينة غيارة هذه على ضفة النيل وعليها حفير دائر بها، وبها خلق كثير وفي أهلها نجدة ومعرفة وهم يغيرون على بلاد ملمم فيسبونهم ويأتون بهم ويبيعونهم من تجار غانة وبين غيارة وأرض ملمم ثلاث عشرة مرحلة وهم يركبون النجب من الجمال... ومن مدينة غيارة إلى مدينة غانة إحدى عشرة مرحلة وماؤها قليل وجملة هذه البلاد التي ذكرناها هي في طاعة صاحب غانة وإليه يؤدون لوازمهم وهو القائم بحمايتهم" (67).

بالإضافة إلى تجارة الذهب، امتهن أهلها السبي وإغارتهم على بلاد ملمم. هذه السلعة تعد في المرتبة الثانية بعد الذهب من حيث صادرات بلاد المغرب عموماً وتجار وارجلان على وجه الخصوص، ويبيعونه كرقيق إلى تجار غانة.

#### 4- وارجلان - زافون:

زافون من البلدان التي قصدها تجار وارجلان عبر مدينة غانة، حيث ارتبطت بعلاقات تجارية معهم، يخبرنا الزهري (توفي في القرن السادس الهجري) في جغرافيته عن موقعها بقوله: "وفي شرقي غانة بنحو عشرين فرسخاً مدينة قرافون (زافون، رافون)، وهي أقرب مدائن الصحراء إلى وارقلان وإلى سجلماسة" (68). وعن أهلها يضيف الزهري بأنهم:

"كانوا على مذهب خرجوا به عن الشرع، ثم صلح إسلامهم... وهم ينضافون إلى مدينة غانة لأنها حاضرتهم ودار مملكتهم"<sup>(69)</sup>.

ويبدو من خلال إشارة الزهري بأن المذهب الذي كان يتبعه أهل زافون هو المذهب الإباضي الذي كان له حضور في بلاد السودان على يد التجار الأباضية الذين انطلقوا من وارجلان بالتحديد، والتي اتفقت أغلب المصادر بأنها باب الولوج إلى بلاد السودان، وكان ذلك قبل مجيء المرابطين.

إن تجار وارجلان يأخذون المسلك الغربي بالمرور عبر سجلماسة ثم أودغست، وصولاً إلى غانة، ونحو عشرين فرسخاً شرقي غانة تحط القوافل التجارية رحالها بمدينة زافون كما صرح الزهري<sup>(70)</sup>.

## 5- وارجلان - كوغة:

واصل تجار وارجلان نشاطهم التجاري وتوغلوا بداخل بلاد السودان متخذين من مدينة غانة المنطلق إلى باقي المدن التجارية السودانية الأخرى. وتعد مدينة كوغة إحدى هذه المدن السودانية التي قصدها التجار القادمون من وارجلان، وقد أشار الإدريسي إلى أن: "ومن وارقلان إلى كوغة نحو شهر ونصف"<sup>(71)</sup>.

ابن حوقل في صورته صرح بأن: "ومن غانه إلى كوغه نحو شهر ومن كوغه إلى سامه دون الشهر"<sup>(72)</sup>، أما البكري الذي أفادنا ببعض التفاصيل حول مدينة كوغة بقوله: "مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة، وأهلها مسلمون وحواليها المشركون. وأكثر ما يتجهز إليها بالملح والودع والنحاس والفرييون والودع والفرييون أنفق شيء عندهم. وحواليها من معادن التبر كثير، وهي أكثر بلاد السودان ذهباً"<sup>(73)</sup>.

وصفها الإدريسي بأنها: "مدينة على ضفة البحر الحلو وفي شماله ومنه شرب أهلها وهي من عمالة ونقارة ومن السودان من يجعلها من بلاد كاتم وهي مدينة عامرة لا سور لها وبها تجارات وأعمال وصنائع يصرفونها فيما يحتاجون إليه ونساء هذه المدينة ينسب إليهن

السحر ويقال إنهن به عارفات وبه مشهورات وعليه قدرات ومن كوغة إلى سمقندة في جهة الغرب عشرة أيام ومن كوغة إلى غانة نحو شهر ونصف ومن كوغة إلى دمقلة شهر ومن كوغة إلى شامة دون الشهر ومن كوغة إلى مدينة كوكو في الشمال عشرون مرحلة بسير الجمال<sup>(74)</sup>.

يبدو من خلال نص الإدريسي بأن هناك مدينتين تحمل نفس المسمى "كوغة"، الأولى تقع بالسودان الغربي التي تحكمها عمالة ونقارة، والثانية تحت حكم بلاد كانم. ويرى تاديوس ليفينسكي بأن كوغة الشرقية يمكن أن تكون بقرب "كوكاوة" بالغرب من نهر تشاد أو "كاوكا" التي أشار إليها الحسن الوزان والتي تقع شرق هذا النهر<sup>(75)</sup>.

إضافة إلى ذلك أشار الإدريسي إلى المسافات التي تربط مدينة كوغة مع باقي المدن السودانية الأخرى، وهذا دلالة على مكانة وأهمية المدينة من الناحية التجارية التي حظيت بها خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث يرى تاديوس ليفينسكي بأن: "كوغة العاصمة القديمة لدولة مالي، كانت من المدن المهمة لونغارة. وأقول بأن المدينة وجميع مدن وقرى ونقارة حظيت بعلاقات مع مدينة وارجلان من خلال أهلها التجار ومشاركتهم في التفاوض مع تجار المغرب الأقصى (خاصة مع سجلماسة والسوس الأقصى)، واحتكارهم لتجارة التبر أغلب العصر الوسيط"<sup>(76)</sup>.

## 6- وارجلان - كوار:

لم يكتف تجار وارجلان بالتحول بمدن السودان الغربي، بل تعدّوه نحو السودان الأوسط، وبالضبط مدينة كوار موقعها في الصحراء، بين فزان ونهر تشاد. ويعد الإدريسي أول من أشار إلى وجود علاقات تجارية بين كوار ووارجلان هذا نصه: "مدينة انكلاس<sup>(77)</sup> أربعون ميلا في بطن الوادي وهي مدينة من أكبر بلاد كوار قطرا وأكثرها تجارة وعندهم معادن الشب الخالص المتناهي في الطيب ويوجد في أجبلها كثيرا لكنه

يتفاضل في الجودة والطيب وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق بلاد مصر ويتصرفون في جهة المغرب فيصلون بلاد وارقلان وسائر أرض المغرب الأقصى<sup>(78)</sup>.

أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في كتابه الدليل والبرهان وقع له من مشاهدات بين كانم وأولاد كوار ضمن جماعة من المسافرين من بني وارجلان قادمون من كوار في قافلة زهاء ثلاثمائة رأس من الرقيق أو ينقص قليلا<sup>(79)</sup>. يرى تاديوس ليفينسكي بأن الطريق بين وارجلان وكوار يمر عبر "جادو"، وهي مركز تجاري كبير بجبل نفوسة<sup>(80)</sup>، ثم بزويلة وكوار. كمرحلة أولى نتتبع محطات الرحلة من وارجلان إلى جبل نفوسة، التي تعتبر من معاقل الجماعات الأباضية، لذا تربطها صلات تجارية قوية بينها وبين وارجلان، لأن أهل الجبل كانوا أعلم بالطرق التجارية المؤدية إلى بلاد السودان الأوسط لصلاتهم القديمة بها<sup>(81)</sup>.

أشار الإدريسي بأن من جبل نفوسة إلى وارقلان اثنتي عشرة مرحلة<sup>(82)</sup>، ولكنه لم يخبرنا عن محطاته. ويبدو أن المسار التي تسلكه القافلة ينطلق من وارجلان باتجاه أريغ ثم واحة أسوف (سوف)، ثم إقليم قسطيلية بالمرور بشط الجريد وبالتالي الوصول إلى إقليم نفزاوة. الدرغيني في طبقاته أشار إلى هذا الطريق بقوله: "وصل الشيخ أبو زكرياء ذات مرة من سجلماسة إلى وارجلان، ثم خرج من وارجلان متجها إلى جربة في جماعة من أصحابه يكونون خمسة وعشرون راكبا، أو عشرون راكبا، ومعهم قريب من مائتين وخمسين مثقالا ذهباً تبراً"<sup>(83)</sup>.

قدّر الإدريسي المسافة من نفطة إلى مدينة قابس ثلاث مراحل وبعض مرحلة<sup>(84)</sup>، فيما فصّل التجاني في رحلته محطات الطريق أولها توزر، ثم مدينة بشرى، ومنها إلى مدينة طرة وهي العاصمة الثانية بعد مدينة بشرى لإقليم نفزاوة، ثم يأخذ الطريق باتجاه الحامة للوصول إلى قابس<sup>(85)</sup>.

وفي إشارة له أخبرنا الإدريسي بوجود مدينة اسمها لوحقة بين نفزاوة وجبل نفوسة بقوله: "وفيما بين جبل نفوسة ومدينة نفزاوة مدينة لوحقة ويتصل بها غربا مدينة بسكرة"

وبادس" (86). وهذا وإن دل فإنما يدل على أن هناك مسلك يربط بين جبل نفوسة وإقليم نفاوة بالمرور بمدينة لوحقة والتي تنتهي حدودها الغربية مع مدينة بسكرة وبادس. وللوصول إلى جبل نفوسة يشير التجاني إلى منزل غمراسن<sup>(87)</sup>، تقع في الشمال الغربي من تطاوين<sup>(88)</sup>، وهي قرية كانت عاصمة الإقليم تحت حكم الإمام عبد الوهاب<sup>(89)</sup>. ومن تطاوين يستمر مسار الطريق باتجاه ذهيبات، وثم وزان قرية موجودة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ثم من وزان يأخذ المسلك باتجاه جبل نفوسة<sup>(90)</sup>، أين تصل القوافل إلى أكبر مركز تجاري بجبل نفوسة وهو "جادو"<sup>(91)</sup>.

وأما محطات الطريق التي تأخذ مسارها نحو بلاد كوار، فنقرأ عند البكري ما نصه: "ومن أراد الطريق من نفوسة إلى مدينة زويلة فإنه يخرج إلى مدينة جادوا المذكورة، ثم يسير ثلاثة أيام في صحراء ورمال إلى موضع يسمّى تيرى<sup>(92)</sup>،... فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء، ثم ينزل على بئر تسمّى أودرف، ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمّى تارغين يسير فيها الذهاب ثلاثة أيام حتى يصل إلى بلد يسمّى تامرما... ويسير من هذا البلد إلى بلد يسمّى سباب يومين،... ويسير من سباب في صحراء مستوية... إلى زويلة يوم"<sup>(93)</sup>.

فيما لم يفصح البكري عن بقية المسلك والمسافة بين زويلة وكوار، كتب اليعقوبي ما نصه: "ووراء زويلة على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها: «كوار» بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر يأتون من السودان"<sup>(94)</sup>. ويرى تاديوس ليفينسكي بأن: "من بين التجار، كان هناك من جملة الأمور، إباضية جبل نفوسة الذين كان لهم السيطرة على تصدير شب انكلاس إلى وارجلان"<sup>(95)</sup>.

## 7- وارجلان-زغاوة:

بالإضافة إلى واحات كوار، واصل تجار وارجلان التوغل نحو بلاد السودان الأوسط، حيث كانت لهم علاقات تجارية مع بلاد زغاوة التي تقع في حوض تشاد. ويشير

الإدريسي إلى تلك العلاقة بقوله: "وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد وارقلان وغيرها"<sup>(96)</sup>. اليعقوبي في تاريخه أشار إلى موقع الزغاوة ما نصه: "وهو النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم"<sup>(97)</sup>، فيما صرح المهلي بأن: "ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حدّ المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر بينهم مسيرة عشرة أيام، وهم أمم كثيرة، وطول بلادهم خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة"<sup>(98)</sup>. وأما المسعودي في أخبار الزمان كتب عن مملكة زغاوة ما نصه: "ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذي النوبة"<sup>(99)</sup>.

أشار ابن حوقل إلى المسافة بين فزان وزغاوة بقوله: "ومن فزان إلى زغاوة شهران"<sup>(100)</sup>. وأما محطات الطريق بين وارجلان وزغاوة فهي كما أشرنا سابقا فإن تجار وارجلان يحطون رحالهم بجبل نفوسة بالمركز التجاري "جادو"، ومن ثم يمرون إلى فزان ثم كوار، ومن كوار تتجه القوافل نحو بلاد كانم أين يتواجد الزغاوة.

ذكر البكري في مسالكة بأن المسافة بين زويلة وبلاد كانم أربعون مرحلة<sup>(101)</sup>، فيما أشار اليعقوبي بأن المسافة بين زويلة وكوار خمس عشرة مرحلة، وبالتالي فإن المسافة بين كوار وبلاد كانم تقدر بخمس وعشرين مرحلة، ثم تصل القوافل إلى مدينة زغاوة التي تقع في مركز البلاد<sup>(102)</sup>.

## 8- وارجلان - زاغري - مالي:

هذا المسلك الذي يتخذ من سجلماسة محطة له باتجاه زاغري ومالي، حيث سلكه ابن بطوطة وأشار إلى محطاته مبتدئا بسجلماسة حيث قال: "وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان، فوصلت إلى مدينة سجلماسة. وهي من أحسن المدن"<sup>(103)</sup>. وبعدها تتوجه القافلة لتقاء تغازي بعد خمسة وعشرين يوما<sup>(104)</sup>.

وقد اتخذت هذه المنطقة عدة مسميات فالبكري أطلق عليه معدن تانتال بقوله: "ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة



مسيرة عشرين يوماً،... ويسمى هذا المعدن تانتال...، ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان<sup>(105)</sup>، فيما سماه ابن سعيد بحصن الملح "وآخر هذا الجزء في الصحراء، حصن الملح وهو مبني على ملح معدني، ومنه يأخذ المسافرون الملح إلى بلاد السودان"<sup>(106)</sup>. وقد اعتبر ريمون موني بأن منجم تغازي هو منجم الملح الصحراوي الرئيسي خلال العصر الوسيط<sup>(107)</sup>.

صرح العمري في مسالكة بأن: "مدينة سجلماسة آخر العمران ليس قبليها عمران بل منها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع، ويعودون بالذهب وليس بعدها إلا تابلبلت في البرية إلى أولائن وبينهما المغازة العظمى وهي أربعة عشر يوماً لا يوجد بها ماء ولا يدخلها إلا الإبل المصيرة على الظم"<sup>(108)</sup>.

وصف الحسن الوزان تابلبلت بأنه: "مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتي ميل من الأطلس ومائة ميل جنوب سجلماسة. وهناك ثلاثة قصور عامرة بالسكان، وأراضيها الصالحة للفلاحة مغروسة بالنخيل، الماء فيها قليل وكذلك اللحم، وتؤكل فيها النعام والوعول التي تصاد. ورغم أن القوم يتجرون مع بلاد السودان فإنهم فقراء لكونهم خاضعين للأعراب"<sup>(109)</sup>.

يبدو أن تابلبلت لم تحظ بمرور القوافل إليها نظراً لقلّة الماء وسيطرة الأعراب عليها، مما أدى بالقافلة التي يقيّلها ابن بطوطة إلى عدم المرور بها فجعلت من تاسرهلا المحطة الموالية قبل الوصول إلى إيواتن لغزارة المياه لديها حيث صرح بقوله: "ثم وصلنا إلى تاسرهلا...، وهي احساء ماء، تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام. فيسترحون ويصلحون أسقيتهم ويملأونها بالماء ويخيطنون عليها التلايس خوف الريح"<sup>(110)</sup>. وبخصوص موقع تاسرهلا فقد ذكر تاديوس ليفينسكي بأنها تبعد عن تغازي بـ 260 كلم وعن ولاتة بـ 500 كلم<sup>(111)</sup>.

تعتبر ولاتة المحطة الموالية في هذا المسلك المؤدي إلى مالي، ازدهرت هذه المدينة بعد سقوط غانة ونزوح ساكنيها إليها وساهموا في إعمارها، وهي من المدن التجارية المهمة تسمى بلغة السونغاي بِيْرُو أو بِيْرُ. أشار السعدي إلى أن ولاتة كانت قبلة للتجار والعلماء والصلحاء قبل أن تزدهر تمبكتو وكتب ما نصه: "كان التسوق قبل في بِيْرُ وإليه يرد الرفاق"<sup>(112)</sup> وسكن فيه من الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد، من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة... إلى غير ذلك"<sup>(113)</sup>.

صرح ابن بطوطة بأن: ايولاتن بلدة "شديدة الحر، وفيها يسير نخيلات، يزرعون في ظلها البطيخ. وماؤهم من أحساء بها، ولحم الضأن كثير بها"<sup>(114)</sup>. وأما المقرئ فقد كشف عن اتخاذ ولاتة مركزاً تجارياً من طرف الإخوة المقرئ الذين عقدوا الشركة بينهم بقوله: "فعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بيايولاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار، وتزوجوا النساء، واستولدوا الإمام"<sup>(115)</sup>.

قرية زاغري هي المحطة الموالية في هذا المسلك، تبعد عن ولاتة مسيرة عشرة أيام<sup>(116)</sup>. صورها لنا ابن بطوطة بأنها: "قرية كبيرة يسكنها تجار السودان،... ويسكن معهم جماعة من البيضان، يذهبون مذهب الإباضية...، ويسمون صَعْنَعُو... والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم ثوري"<sup>(117)</sup>.

بما أن وارجلان هي معقل إباضية المغرب الأوسط، وباب الولوج إلى بلاد السودان، فيمكننا أن نخلص إلى وصولهم إلى قرية زاغري. وقد ذهب تاديوس ليفينسكي إلى نفس الرأي وصرح قائلاً: "ويبدو أن جميع فروع إباضية المغرب الناجون بعد سقوط الإمامة الرسمية، حافظوا على وجودهم حتى القرن 14م، هم إباضية وارجلان الذين شاركوا أكثر من غيرهم في حركة القوافل مع السودان الغربي"<sup>(118)</sup>.

وبحسب ابن بطوطة المحطة الموالية بعد قرية زاغري هي بلدة كَارَسَخُو<sup>(119)</sup>، وقد حدد موريس دولافوس موقع كارسخو على يمين نهر النيجر بالقرب من ديفارابي بـ 21 كلم جنوب غرب كي مسينا<sup>(120)</sup>. وبعد بلدة كارسخو تأتي المحطة الموالية وهي العبور على نهر صنصرة الذي يبعد عن مالي عشرة أميال<sup>(121)</sup>.

## 9- وارجلان - تاكدة:

إن أول إشارة دونت حول تاكدة في المصادر كانت من قِبَل الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي حل بالمدينة عام 754هـ/1353م، قادمًا إليها من فاس. كتب ابن بطوطة بخصوصها ما نصه: "وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمر، وماؤها يجري على معادن النحاس، فيتغير لونه وطعمه بذلك، ولا زرع بها إلا يسير من القمح، يأكله التجار والغرباء... ولا شغل لأهل تكدا غير التجارة... ولأهلها رفاهية وسعة حال، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم"<sup>(122)</sup>.

تعد تاكدة مركزًا تجاريًا بما تحتويه من معدن النحاس الذي عرفت به، حيث "يحفرون عليه في الأرض، ويأتون إلى البلد، فيسبكونه في دورهم. ويفعل ذلك عبيدهم وخدمهم. فإذا سبكوه نحاسًا أحمر، صنعوا منه قضبانًا في طول شبر ونصف، بعضها رفاق، وبعضها غلاظ... ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار، وإلى زغاي، وإلى بلاد برنو، وهي على مسيرة أربعين يومًا من تكدا"<sup>(123)</sup>.

ونقل لنا العمري في مسالكة بأن الزواوي حدثه السلطان منسا موسى بقوله: "إن عنده في مدينة اسمها تكرا معدن النحاس الأحمر تجلب منه القضبان إلى مدينة بيتي"<sup>(124)</sup>. وقد أشار تاديوس ليفينسكي بأن: "هناك طريق يربط بين تاكدة بغدامس وإلى ذلك بفاس. هذا المسلك السالف الذكر يمر عبر توات وسجلماسة"<sup>(125)</sup>.

ويروي لنا ابن خلدون في تاريخه ما نصه: "قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبي عنان في بعض الأغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت<sup>(126)</sup> عند

يوسف بن مزني أمير بسكرة<sup>(127)</sup>. وفي إشارة أخرى له أضاف ابن خلدون بأن بلاد الزاب بسكرة ووارجلان لهما علاقة بتاكدة بقوله: "وهذا البلد<sup>(128)</sup> لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان... وعلى عشرين مرحلة من هذا في القبلة منحرفا إلى المغرب بيسير بلد تكرت قاعدة وطن المثلثين وركاب الحجاج من السودان اختطه المثلثون من صنهاجة وهم سكانه لهذا العهد، وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان، وبينه وبين أمير الزاب<sup>(129)</sup> مراسلة ومهاداة"<sup>(130)</sup>.

وبخصوص طريق تاكدة وارجلان، فقد وَضَّحَ ابن بطوطة محطاته بقوله: "وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين... فوصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان الكركري... وهي مسيرة ثلاثة أيام... ثم سرنا بعد ذلك مسيرة خمسة عشر يوما... ووصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات... وسرنا من هنالك عشرة أيام، ووصلنا إلى بلاد هكار... وسرنا في بلاد هكار شهرا... ووصلنا بلاد برابر... ثم وصلنا إلى بُودا، وهي من أكبر قرى توات"<sup>(131)</sup>.

يرى ريمون موني أن عين صالح أصبحت تمثل محطة مهمة خلال العصر الوسيط الأعلى في الطريق الرابط بين وارجلان وتادمكة وجاو<sup>(132)</sup>، وقد أشرنا إلى ذلك عند ذكرنا لمخطات هذا المسلك، لذا فإن القوافل عند وصولها إلى منطقة الهقار وبالضبط واحة عين صالح -والتي أصبحت تمثل مفترق طرق- للقوافل التي عليها أن تأخذ الاتجاه الغربي للوصول إلى توات، وإما الاتجاه الشرقي للوصول إلى وارجلان مروراً بالقلعة.

## 10- وارجلان - أغاديس:

أصبحت أغاديس خلال القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي حاضرة سياسية وتجارية في بلاد السودان، بعد أن فقدت تاكدة مكانتها الحضارية. قال الحسن الوزان بشأنها: "وهي مدينة السود التي تكاد تكون أجهى من مدن البيض باستثناء ولاتة... جميع سكانها تقريبا من التجار الأجانب"<sup>(133)</sup>.

وبخصوص اتصال وارجلان بأغاديس يوضح الحسن الوزان ذلك بقوله: "وركلة مدينة... يوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناعات فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغريباء عن البلد، لاسيما من قسنطينة وتونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلوها بما يأتي بها التجار من بلاد السودان"<sup>(134)</sup>.

نفهم من خلال هذا النص تجوال تجار وارجلان في مدينة أغاديس التي أصبحت مركزا تجاريا مهمًا في بلاد السودان، إضافة إلى أن وارجلان تمثل دور الوسيط بين تجار مدن بلاد المغرب وأغاديس المدينة السودانية. وعن محطات الطريق بين وارجلان وأغاديس فإنها نفس المراحل التي أشرنا إليها عند ذكرنا للطريق الذي يربط بين وارجلان وتاكدة، حيث أن وصف الجزء الشمالي منه يمر عبر عين صالح والقلعة، فيما كانت محطات الجزء الجنوبي التي فصلها ابن بطوطة في رحلته أثناء رجوعه إلى فاس بالمرور بأرض كاهر ثم مفترق طرق غات، ثم منطقة الهقار.

#### خاتمة:

من خلال العرض الذي قمنا بسرده يمكننا الحكم بأن حاضرة وارجلان خلال القرون الثالث والتاسع الهجري/التاسع والخامس عشر الميلادي عبارة عن ميناء صحراوي مغربي بامتياز، خاصة إذا علما بأنها ترتبط بالشمال بعشرة مسالك عززت من حضورها التجاري في جميع المدن والمراكز التجارية، إضافة إلى ذلك تحكمت في زمام التجارة الصحراوية للمغرب الأوسط وإفريقية وفي بعض الأوقات التجارة المشرقية للولوج إلى بلاد السودان، حيث أدت هذه الحاضرة دورا مهما وفعالا مع أغلب مدن بلاد السودان.

#### الهوامش:

<sup>1</sup> - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للطبوعات، بيروت، 2010، ط1، ج01، ص238.

<sup>2</sup> - اليعقوبي: المصدر نفسه، ج01، ص239.

<sup>3</sup> - البكري: المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج02، ص371.

- <sup>4</sup>-Lewicki(T): **Etudes maghrébines et soudanaises**, Editions Scientifiques de Pologne, Pologne,1982, t 02, p 32.
- <sup>5</sup>-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises Ibid, p 35.
- <sup>6</sup>-Ibidem.
- مسعود مزهودي: الأباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، جمعية التراث، القرارة، 1996، ص 146.
- <sup>7</sup>-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 36.
- <sup>8</sup>– ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001، ج06، ص 158.
- <sup>9</sup>-Mauny(R): **Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge d'après les sources écrites, tradition et l'archéologie**, Ifan, Dakar, 1961, pp 117-118; Prevost(V): **L'aventure ibadite dans le sud tunisien (VIIIe-XIIIe siècle)**, distribution Tiedekirja Kirkkokatu, Finland, 2008, p 371.
- <sup>10</sup>– البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.
- <sup>11</sup>-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 37.
- <sup>12</sup>– ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ط01، ص 115.
- <sup>13</sup>– ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص ص 264-270.
- <sup>14</sup>– أشار تادويوس ليفينسكي بأن المدينة تادمكة كانت موجودة منتصف القرن 17 م، تقريبا العام 1655م بحيث لجأ سكانها إلى مغادرة المكان باتجاه تمبكتو والعيش بجوارها. ينظر: Lewicki(T): Etude maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 39.
- <sup>15</sup>– الدرجيني: طبقات مشائخ المغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج02، ص ص 374-375.
- <sup>16</sup>– **تملي الوسياني**(كان حيا 380هـ/990م): عالم سخي، من بني ويسين من أهل القصور في بلاد الجريد بتونس، عاصر أبا نوح سعيد بن زنگيل، وأخذ العلم عن أبي حزر يغلا بن زلفان (ت:380هـ/990م) كان فقيرا مقالا في أول عمره، ثم بسط الله عليه الرزق، وسافر إلى تادمكت بمجنوب غرب إفريقية، فأسس بها تجارة، وجعل يبعث منها كل سنة عشرة أكياس، كل كيس فيه خمسمائة دينار، من جلود البقر، مكتوب على كل كيس: هذا مال الله؛ يبعث بها إلى أبي عمران موسى بن شذرين – والد هارون الحاققي الوسياني – فيفترقها على أهل ولاية المسلمين. ينظر: الوسياني: **سير الوسياني**، تحقيق: عمر بن لقمان بوعصانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009، ط01، ج02، ص ص 550-552.
- <sup>17</sup>– الوسياني: المصدر نفسه، ج02، ص 551.
- <sup>18</sup>– المهلي: **المسالك والممالك**، جمعه: تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ط01، ص 55.
- <sup>19</sup>– البكري: المصدر السابق، ج02، ص 373.
- <sup>20</sup>– الزهري: **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س ن، ص 123.
- <sup>21</sup>– الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص ص 28-29.
- <sup>22</sup>-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 33.
- <sup>23</sup>– البكري: المصدر السابق، ج02، ص 372.
- <sup>24</sup>- Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 40.
- <sup>25</sup>– الزهري: المصدر السابق، ص 137.
- <sup>26</sup>– ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط01، ج02، ص 709.
- <sup>27</sup>– الحسن الزوان: **وصف إفريقية**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط02، ج02، ص 169.
- <sup>28</sup>- Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 41.
- <sup>29</sup>- Ibidem.
- <sup>30</sup>- Mauny(R): Op.cit, p p 72-74.
- <sup>31</sup>– القليعة: مدينة المنيعه حاليا.

- 32- قرارة: هي إحدى مدن ميزاب غرداية.
- 33-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 17; PREVOST(V): Op.cit, p 372.
- 34-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 42.
- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 149.
- 35- أبو زكرياء: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط02، ص 165.
- 36- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 260.
- 37- البكري: نفس المصدر والصفحة.
- 38-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 17.
- 39- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 92.
- 40- ابن حوقل: نفس المصدر والصفحة.
- 41- المهلي: المصدر السابق، ص 45.
- 42- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.
- 43- تامدلت: أسستها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، وما بينهما بساتين، وعلى هذا النهر (أرجاء كثيرة، وأرضها أكرم أرض وأكثرها ريعا تعطى للحببة مائة، وبها معدن فضة غزير كثير المادّة. ينظر إلى البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 350.
- 44- تندفس: هي مدينة تندوف.
- 45- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 342-344.
- 46- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 346.
- 47- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 333.
- 48 - Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 44.
- 49- الشماخي: كتاب السير، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ط01، ج02، ص 478.
- 50- أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني: (ق: 4هـ / 10م) عالم ذو مقام معتبر بين أضرابه، وأثار باقية في سير الأباضية. عاصر أبا صالح جثون بن بمران الوارجلاني الذي طلب منه أن يضع له مسائل في التوحيد والرّد على المخالفين، فألّف لهم كتابًا في الألواح. وأعجله السفر فلم يعرضه، ولذلك كانت فيه مسائل فيها مقال. وقيل: إنّ المسائل من تأليف غزّاب من تلاميذ أبي نوح سعيد ابن زنغل، وإثما جمعها ونظمها أبو موسى. حاول أهل وارجلان أن يعقدوا حلقة للتلاميذ، فلم يتم لهم ذلك، فعزم أبو هارون على السفر إلى غانة، ثمّ توجه إلى غيارة فوجدهم غزاة، فلزم بيته حتّى مات. ينظر إلى مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الأباضية (قسم المغرب)، المطبعة العربية، غرداية، 1999، ص 441.
- 51- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 566-567؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 372-373.
- 52- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.
- 53- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.
- 54- أبو حامد الغزنائي: تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تح: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ط01، ص 39.
- 55-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 48.
- 56- الإدريسي: المصدر السابق، ص 122؛ الزهري: المصدر السابق، ص 125.
- 57- الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج04، ص 184.
- 58- الحموي: المصدر نفسه، ج 02، ص 11.
- 59- السعدي: تاريخ السودان، تحقيق: ولد السالم حماد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص 60-61، الهامش رقم 01.
- 60- Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 44.
- 61- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.س.ن، ص 57.
- 62- أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص 156-157.
- 63- ابن خلدون: المصدر السابق، ج01، ص 496.

- 64- البكري: المصدر السابق، ج 02، ص 364.
- 65- البكري: نفس المصدر والصفحة.
- 66- البكري: المصدر نفسه، ج 02، ص 365.
- 67- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 25-26.
- 68- الزهري: المصدر السابق، ص 126.
- 69- الزهري: نفس المصدر والصفحة.
- 70- الزهري: نفس المصدر والصفحة.
- 71- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.
- 72- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92.
- 73- البكري: المصدر السابق، ج 02، ص 367.
- 74- الإدريسي: المصدر السابق، ص 27.
- 75-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 54.
- 76-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Ibid, p 57.
- 77- انكلاس: انكلاس، هي المعروفة بقرية كالالة "Kalala" التي تبعد ب 2 كلم شمال غرب بيلمة "Bilma"، المعروفة بالملح. أو بالأحرى ملح بيلمة المنتجة للملح الذي يحتوي على نسبة 79% من كبريتات الصوديوم ( $SO_4N_2$ - أو ما يعرف بالشب). وهو يدخل في صناعة ملح شب بيلمة (وكوار كليا)، كانت خلال القرن الثاني عشر الميلادي [القرن السادس الهجري] من أغنى البلدان. ينظر: Mauny(R): Op.cit, p 141.
- 78- الإدريسي: المصدر السابق، ص 117.
- 79- يوسف الوارجلاني: الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، مطابع العالمية، مسقط، 2006، ط 02، ج 03، ص 282.
- 80-LEWICKI(T): LEWICKI(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 59.
- 81- زاهر الحجري: الأباضية في الغرب الإسلامي، مكتبة الجيل الصاعد، مسقط، 2012، ص 143.
- 82- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.
- 83- الدرجمي: المصدر السابق، ج 02، ص 502.
- 84- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.
- 85- التجاني: رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص ص 172-177.
- 86- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.
- 87- التجاني: المصدر السابق، ص 179.
- 88-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 30.
- 89-Lewicki(T): Les Ibadites En Tunisie Au Moyen Age, Angelo Signorelli Editore, Roma, 1958, p 07.
- 90-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p p 30-31.
- 91-جادوا: مدينة كبيرة تسمى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير. ينظر البكري: المصدر السابق، ج 02، ص 181؛ مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 144؛ الحموي: المصدر السابق، ج 02، ص 92؛ ابن عبد الحق البغدادي: مرصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة، دمشق، 1954، ج 01، ص 305.
- 92- تيزي: موضع في سفح جبل فيه آبار كثيرة وتخلل. ينظر: البكري: المصدر السابق، ج 02، ص 182.
- 93- البكري: المصدر نفسه، ج 02، ص 182.
- 94- اليعقوبي: البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 183.
- 95-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 60.
- 96- الإدريسي: المصدر السابق، ص 111.
- 97-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج 01، ص 238.
- 98-المهلي: المصدر السابق، ص 54.



- 99-المسعودي: أخبار الزمان ومن أبداه الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 89.
- 100- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92.
- 101- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 183.
- 102-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 62.
- 103- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 686.
- 104- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.
- 105- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.
- 106- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص ص 113، 234.
- 107- Mauny(R): Op.cit, p p 116-117.
- 108- العمري: مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ط01، ج04، ص 107.
- 109- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 129.
- 110- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 688.
- 111- Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 64.
- 112- الزفناق: القوافل.
- 113- السعدي: المصدر السابق، ص 127.
- 114- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 690.
- 115- المقرئ: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج05، ص 205.
- 116- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 693.
- 117- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.
- 118-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 67.
- 119- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 694.
- 120-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 67.
- 121- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 694.
- 122- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 710.
- 123- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 711.
- 124- العمري: مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 59.
- 125-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 69.
- 126- تكرت: المقصود بما تكادت. ينظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70، الهامش رقم 03.
- 127- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 70.
- 128- البلد: وارجلان.
- 129- الزاب: المقصود به بسكرة.
- 130- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70.
- 131- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص ص 712-713.
- 132-Mauny(R): Op.cit, p 434.
- 133- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 171-172.
- 134- الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج02، ص 136.